الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ودوره في مقارعة الاستبداد

المدرس الدكتور
حيدر زوين
جامعة الكوفة ـ كلية الآداب
haider.zwain.ha@gmail.com
الباحث
عبد الكريم جعفر الكشفي
مدير تربيَة ديالى الأسبق
k1kk21951@gmail.com

الملخص:

يعد الاستبداد وباءاً فتّاكاً معاصرا تصاب به بعض الأمم في بعض مراحل تاريخها، وهو أسوء أنواع الإدارة السياسيّة وأكثرها خطراً على الإنسان وتأخيراً للعمران وتمزيقاً للأوطان وهو تصرف من لدن الحاكم على وفق أهوائه ونزواته إذ يتحك بمصائر الناس فلا تراعى فيه كرامة لإنسان أو حرمة لأديان فمواطن الحكومات المستبدة يمتاز غالبا بالسلبيّة المطلقة والتشاؤم والقلق وعدم الاستقرار، فلا وجود للطاقات البناءة أو الإبداعات الخلّاقة وهكذا تحرم البلاد من عطاءات أبنائها والمجتمع الذي يتحكم فيه الاستبداد هو مجتمع خامل معطّل متراجع في كافة مرافق الحياة ووجوهها إذ يسوده التخلف وتسيطر عليه الخرافة وتنعدم فيه القيم وتموت فيه الفضيلة بأساليبه المتشددة وآرائه الفاسدة إذ يقتل حوافز الأفراد وطموحاتهم.

وقد قسّم بحثنا الموسوم بـ((دور أئمة آل البيت في مقارعة الاستبداد، الإمام جعفر الصادق، عليه السلام أنموذجاً)) على ثلاثة مباحث سبقت بمقدمة وختمت بخاتمة تبين لأهم النتائج التي توصّل إليها البحث، وقد وسم المبحث الأول: بـ ومضات من حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وتصدّى المبحث الثاني لدراسة المفهوم العام للاستبداد، وتطرّق المبحث الثالث: إلى دراسة دور الإمام الصادق في مقارعة الاستبداد.

الكلمات المفتاحيّة: (الإمام، الصادق، الاستبداد، دور، مقارعة، عليه السلام).

مقدمة:

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام محمد وعلى آله وصحبه الغر الميامين الأطياب، وبعد فيعد الاستبداد وباءاً فتّاكاً معاصراً تصاب به بعض الأمم في بعض مراحل تاريخها، وهو أسوء أنواع الإدارة السياسيّة وأكثرها خطراً على الإنسان وتأخيراً للعمران وتمزيقاً للأوطان وهو تصرف من لدن الحاكم على وفق أهوائه ونزواته إذ يتحك بمصائر الناس فلا تراعى فيه كرامة لإنسان أو حرمة لأديان فمواطن الحكومات المستبدة يمتاز غالبا بالسلبيّة المطلقة والتشاؤم والقلق وعدم الاستقرار، فلا وجود للطاقات البناءة أو الإبداعات الخلّاقة وهكذا تحرم البلاد من عطاءات أبنائها والمجتمع الذي يتحكم فيه الاستبداد هو مجتمع خامل معطّل متراجع في كافة مرافق الحياة ووجوهها إذ يسوده التخلف وتسيطر عليه الخرافة وتنعدم فيه القيم وتموت فيه الفضيلة بأساليبه المتشددة وآرائه الفاسدة إذ يقتل حوافز الأفراد وطموحاتهم.

وقد قسّم بحثنا الموسوم بـ((الإمام جعفر بن محمد الصادق، عليه السلام، ودوره في مقارعة الاستبداد)) على ثلاثة مباحث سبقت بمقدمة وختمت بخاتمة تبين لأهم النتائج التي توصّل إليها البحث، وقد وسم المبحث الأول: بـ ومضات من حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وتصدّى المبحث الثاني لدراسة المفهوم العام للاستبداد، وتطرّق المبحث الثالث: إلى دراسة دور الإمام الصادق في مقارعة الاستبداد، وقد استعان البحث بمجموعة من المصادر التاريخيّة والدينيّة والأدبيّة واللغويّة من أجل أن ينجز بالشكل المطلوب.

وقد بذل الباحثان ما بوسعهما في سبيل إنجاز هذا البحث والحصول على النتائج المرجوّة فإن أصابا فهو حسبهما وإن لم يصيبا؛ فالعصمة لله ولرسوله ولأئمة آل البيت عليهم السلام، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام محمد وعلى آله وصحبه الغر الميامين.

المبحث الأول

ومضات من حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام

هو الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ولد الإمام أبو عبد الله في المدينة المنورة في يوم الاثنين السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة(٨٣هـ)

وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر[١]. واستشهد بالسم الذي دسه أبو جعفر المنصور في سنة (١٤٨هـ) ودفن في مقبرة البقيع في المدينة وكان عمره الشريف خمسة وستين عاماً[٢].

وقد عاصر إمامنا عليه السلام عددا من الخلفاء الأمويين والخلفاء العباسيين، وهم سليمان الأموي المكنّى بـ(الناقص) وملك ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وحكم مروان بن محمد الملقب بـ(الحمار)[٣].

وقد أسس الإمام جعفر الصادق مدرسة دينيّة اجتمع فيها عددٌ كبيرٌ من طلبة العلوم الدينيّة وكانت تبث عدداً كبيراً من العلوم وقدر عدد طلبتها بـ (٤٠٠٠) طالب علم.

وقد شهدت حقبة الإمام الصادق عليه السلام وقوفه بحزم ضد الاستبداد الأموي المقيت الذي كان يخضم خيرات البلاد والعباد بلا هوادة وبلا رادع خضم الإبل للحشيش وقد ذكر المؤرخون وأصحاب السير بأن الإمام الصادق عليه السلام كان يحسن الكلام بأكثر من لغة وهي: (الفارسيّة والنبطيّة والعبريّة) أما فيما يخص العلوم فإنه كان يتقن أكثر من علم كـ(الكيمياء، والطب، الرياضيات، والفلك)[٤]. وقد دونت العلوم في أيامه وكان عليه السلام يوصي طلابه ومؤيديه بقوله: ((كونوا زينا لنا ولا تكونوا شيناً علينا))[٥].

الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام المعروف بالإمام الصادق عليه السلام وهو سادس الائمة المعصومين الذين فرضت طاعتهم على الشيعة الإماميّة الاثني عشريّة[٦].

ولد الإمام الصادق عليه السلام في المدينة المنورة في السابع عشر من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين من الهجرة، وترعرع الصادق في ظلال جده الإمام السجاد عليه السلام وأبيه الإمام الباقر عليه السلام وعنه أخذ علوم الشريعة ومعارف الإسلام، أمّة أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر. واستشهد في المدينة المنورة سنة ١٤٨ للهجرة وكانت إمامته ٣٤ عاماً، وقد عاش مع جده الإمام زين العابدين عليه السلام ١٢ سنة، ومع أبيه الإمام محمد الباقر عليه السلام ١٩سنة وعاش بعدهم ٢٤سنة واستشهد وعمره ٦٥ سنة متأثراً بسم دسّه المنصور العباسي ودفن بالبقيع[٧]، إلى جانب أبيه الإمام الباقر وجده الإمام السجاد وجده الإمام الحسين عليه السلام، يكنّى بأبي عبد الله وإليه ينسب المذهب الجعفري.

عاصر الإمام الصادق خلال حقبة إمامته ثمانيّة من ملوك بني أميّة واثنين من ملوك بني العباس، إذ عاصر بقيّة ملك هشام بن عبد الملك وملك الوليد بن يزيد بن عبد الملك وملك يزيد بن الوليد بن عبد الملك الملقب بالناقص وملك إبراهيم بن الوليد وملك مروان بن محمد الحمار،وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة ملك أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الملقب بالسفاح أربع سنين وثمانية أشهر. ثم ملك أخوه أبو جعفر عبد الله الملقب بالمنصور إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً[٨].

لقد عاصر الإمام الصادق عليه السلام حقبتين تمثلتا في ضعف الدولة الأمويّة و بدايّة الدولة العباسيّة، إذ تهيأت الأجواء خلالهما للحريات السياسية والثورات الدينية، كذلك الحال بالنسبة لحرية البحث والمناظرات العلمية و نشر المعارف في مختلف الأقسام[٩].

وتمكّن الإمام عليه السلام من خلال هذه الظروف وعلمه الوفير والهدايّة الربانيّة الخاصة من نشر العلوم الإسلاميّة وفكر آل البيت عليهم السلام وممارسة دوره في التصدي للأفكار التشكيكيّة التي طرحت نفسها على الساحة والتي وصلت الى المسلمين نتيجة ترجمة الكتب اليونانيّة التي بدأت في عهد الإمام جعفر الصادق عليه السلام[١٠].

وكان للإمام الصادق عليه السلام في الكوفة حلقات استقطبت علماء البصرة وواسط والحجاز، وقت وجود الإمام الصادق بها، ويقول مالك بن أنس لما رأى الإمام الصادق يدرس في الكوفة: ((ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادةً وورعاً))[١١]، ويقول أبو حنيفة النعمان بن ثابت: ((ما رأيتُ أفقه من جعفر بن محمد الصادق))[١٢].

لقد كان الإمام الصادق عليه السلام هو صاحب مدرسة تنويريّة مدّت جذورها عمق التاريخ وبقيت مباركة طيبة، أصلها ثابت في الأرض وفروعها راسخة في السماء، تؤتي أكلها كلحين بإذن ربها. وصاحب هذه المدرسة وحده موسوعة علمية، أسهمت جميعاً في شحن المعارف الواسعة إلى فكره المركز، وإرادته المعتصمة بالمران الأصيل. وكانت تلك المعارف والطاقات المباركة كلها تصب في بوتقة واحدة هي بوتقة بناء مجتمع إسلامي صالح وفرد يعيش حرية الفكر وحرية الإنسانية وعبودية الباري عز وجل، ويحارب الاستكبار الأموي والعباسي الذي عاصره[١٣].

ومن خلال هذه التجربة الفريدة والعلم الوفير والهدايّة الربانيّة الخاصة تمكن الإمام جعفر الصادق عليه السلام،من نشر العلوم الإسلاميّة من ناحيّة، ومن ناحيّة أخرى تمكّن من مداراة الخلفاء الذين تسلّطوا على مقدرات الأمة باسم الإسلام، كما احتضنت حقبة الإمام الصادق ومن قبله حقبة أبيه الباقر عليهما السلام كثيراً من الحواريات والمناقشات الفقهيّة والكلاميّة بنسبة ملحوظة من الانفتاح الفكري والثقافي، ووضع الإمام الصادق عليه السلام الأساس التجريبي للكثير من العلوم الرياضيّة والطبيعيّة، ووسع من أفق التفكير في علوم الكلام والفقه على الأساس النظري، حتى تأسست مذاهب على أفكار بعض من تتلمذ بين يديه مدّةً من الزمن كالإمام أبي حنيفة النعمان، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على الروح الوحدويّة التي كانت تعيش بين جنبات الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وتربيته لطلابه على أساس العلم والتقوى والحياة من أجل الإسلام ومصالح المسلمين(١٤).

لقد كان الإمام يرى أن الإسلام كدين لا يهدف الى القطيعة بين المسلمين وغيرهم، وإن الاختلاف ليس مناطا للقطيعة بل هو مناط للتواصل والتعارف والتّثاقف(١٥).

لقد كان الإمام الصادق عليه السلام أكثر علماء عصره إيمانا بالحوار والغرض منه هو إيصال المفهوم الإسلامي الصحيح للآخرين أياً كانوا، ولذلك كان عليه السلام يتحدث بطول نفس مع الزنادقة والدهريين الذين لم يؤمنوا بالإسلام، ولا يغضب عندما يسأله أحد الزنادقة كيف يعبد الله الخلق، ويجيبه الإمام قائلا: ((رأته القلوب بنور الإيمان وأثبتته العقول بيقظتها إثبات العيان، وأبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب وإحكام التأليف، ثم الرسل وآياتها، والكتب ومحكماتها، واقتصر العلماء على ما رأوه من عظمته دون رؤيته))(١٦).

وفي عصرنا الحالي عصر التكالب على المسلمين وبخاصة شيعة آل البيت عليهم السلام، إذ كان يدعو، شيعته إلى تعميق العلاقات مع المخالفين ومشاركتهم في آمالهم وآلامهم إذ يقول: ((كونوا لمن انقطعتم إليه زيناً ولا تكونوا عليه شيناً، صلّوا في عشائرهم وعودوا مرضاهم واشهدوا جنائزهم ولا يسبقونكم إلى شيء من الخير فأنتم أولى به منهم))(١٧).

وكان بعض أصحابه يقول له: ماذا نفعل مع خلطائنا وقومنا الذين نختلف عنهم في المذهب؟ فيقول: ((عودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، وصلُّوا في مساجدهم))(١٨)، وكان يوصيشيعته قائلاً: ((كونوا لنا زيناً ولا تكونوا شيناً))(١٩).

واليوم ما أحوجنا الى مفكرين مصلحين وفقهاء بعيدين عن بلاط الحكام والسلاطين يقرأون ما ورّثه الرسول الأكرم محمد وآل بيته عليهم السلام والإمام جعفر الصادق عليه السلام للبشريّة من علوم؛ ليعيدوا للفكر الإسلامي رونقه الحقيقي عن طريق حوار بنّاء بينهم قد يعيد للإسلام هيبته وللمسلمين عزتهم وليتوحدوا ويبنوا مجدهم من جديد.

لقد أوصى الإمام الصادق عليه السلام شيعته بتقوى الله عزّ وجلّ والورع في دينهم والاجتهاد لله وصدق الحديث واداء الامانة والتي هي افضل من عامة الصلاة، أوصاهم بأن يصلوا عشائرهم ويشهدوا جنائزهم ويعودوا مرضاهم، ويأدّوا حقوقهم، فانّ الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدّى الأمانة وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا جعفري فيفرّحنا ذلك ويدخل علينا منه السرور وقيل، وهذا هو علم جعفر وأدبه [٢٠].

وقد نهى عليه السلام عن التعصّب؛ لأنه أحد أهم أسباب وعوامل التشاجر والتناحر والاختلاف والفرقة بين المسلمين؛ لأنه يمنع من اللقاء والاجتماع في النقاط المشتركة، ودعا الإمام الصادق عليه السلام إلى اصلاح العلاقات بين الناس والتقريب بينهم، ليكونوا أخوةً متآزرين متعاونين متحلين بالأخلاق الفاضلة المؤمنة وبالحوار كأساس لبناء الصرح الإسلامي إذ تمكّن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، من تربيّة آلاف العلماء وما بقي إرثاً للمسلمين من خلفه كله من آثار ذلك الايمان بالحوار والتسامح الذي اتصف بهما وعلّمها لتلاميذه وأصحابه، وأوصى المسلمين بالالتزام بمبدأ الحوار البنّاء لا الحوار الهدّام لوحدة المسلمين بزرع التفرقة بينهم، خصوصاً واليوم يواجه الوجود الإسلامي في العالم كافةً، واقعاً كالحاً أي واقع الاستعمار والصليبيّة الحاقدة والنزاعات الماديّة الالحاديّة، وهم متفرقون على كل صعيد[٢١].

المبحث الثاني

الاستبداد مفهوم عام

لو عدنا إلى مصادر اللغة لوجدنا أن الاستبداد على زنة استفعال وهي تدل على معنى المبالغة والكثرة أي تمادى في الفعل وأكثر منه وفي المعنى الاصطلاحي الاستبداد هو التمادي في الظلم والاستغلال والرابط بينهما أي (اللغة والاصطلاح) هو الكثرة كثرة الحروف في استبدّ وكثرة الظلم والتمادي فيه والمبالغة في إقامته[٢٢].

والاستبداد بمعنى الاستكبار وهو مأخوذ من الكبر وقد وصف الباري عز وجل المتكبر بأبشع وصف في القرآن الكريم إذ قال: ((ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور))[٢٣].

ويرى البحث: بأنّ صفة التصعر تنسب عادة إلى الإبل وهو المشي برفع الخد، وليس إلى الإنسان والكبر الإحساس بالعظمة والاستكبار يكون في وجهين:

أحدهما: أن يتحرى الإنسان ويطلب بأن يصير كبيراً.

والثاني: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس فيه وهذا النمط من المذمومات إذ يقول الأصفهاني في مفرداته: ((وهذا ما ورد في قوله تعالى أبى واستكبر))[٢٤]،وعلى وفق هذا التحليل يكون المستكبر بغير حق هو من يظهر من نفسه ما ليس له أما من يظهر حقيقة ميزاته؛ فذلك هو الحق الذي يجعل الاستكبار محموداً بحسب رأي الراغب الأصفهاني [٢٥]، وقد وردت في قوله تعالى: ((إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون))[٢٦].

الاستكبار: لغة هو استجلاب الكبر، والكبر هو العظمة وفي الاصطلاح العام، الكبر والتكبر والاستكبار تتقارب، والاستكبار يقال على وجهين، أحدهما: أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يصير كبيراً... والثاني: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس فيه وهذا هو المذموم بحسب رأي الراغب في المفردات.

تعريف الاستكبار: والاستكبار يقال على وجهين: أحدهما: أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يصير كبيراً، وذلك متى كان على ما يجب وفي المكان الذي يجب وفي الوقت الذي يجب فمحمود. والثاني: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم، وعلى هذا ما ورد في القرآن ((أبى واستكبر))[٢٧].

وعلى وفق هذا التحليل يكون المستكبر بغير حق هو من يظهر من نفسه ما ليس له، أما من يظهر حقيقة ميزاته، فذلك هو الحق الذي يجعل الاستكبار محمودا بحسب قول الراغب[٢٨].

إن مفهوم الاستكبار مفهوم قرآني ولم يظهر حديثاً،وهو أن يعد عنصراً أو شخصاً أو جماعة أو تيار نفسه فوق الحق ولا يخضع للحق ويجعل نفسه وسلطته ملاكاً للحق! أول

مستكبر في التاريخ الذي يرسمه القرآن،كما يعني مفهوم مواجهة الاستكبار من قبل المسلمين والمؤمنين والنظام والثورة الإسلاميّة؛ وهذه المواجهة ليست مصلحيّة أو موسميّة أو تكتيكيّة، إنما هي مواجهة قائمة بشكل دائم. هذه هي الثورة نفسها، و طالما أنّه هناك ثورة يعني هذا أنّ هنالك مستكبرين، ربما يمكن القول إن التكبر يشير في الغالب إلى صفة قلبيّة وروحيّة. بمعنى أن يعتبر الإنسان نفسه فوق الآخرين[٢٩].

والاستكبار يركز غالباً على الجانب العملي للتكبر. بمعنى أن الذي يتكبر و يرى نفسه أعلى من الآخرين يتعامل مع الآخرين بنحو يظهر فيه هذا التكبر بوضوح. يهين الآخرين و يذلهم و يتدخل في شؤونهم و يظهر بمظهر من يتخذ القرار للآخرين[٣٠].

وقد عدّت صفة الاستعلاء و التكبر و العجب و الانبهار بالذات، من أقبح الخصال البشريّة و من الرذائل والتي ينبغي للإنسان عدم الاتّصاف بها، و قد تصدّت تعاليم الإسلام المحمدي الأصيل لتلك الخاصيّة بشدة وعنف إذ وردت في القرآن الكريم آياتٌ تذمُّ هذه الصفة كثيراً، فضلاً عن أقوال أئمة أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم إذ تمّ التحذير من عواقب التكبر، ومن فكر المستكبرين وعقائدهم وخصالهم[٣١].

وقد عرّف الاستكبار بالامتناع عن قبول الحق مُعاندة و تَكَبُّراً، و الاستكبار أن يرى الفرد نفسه كبيراً و يظهر التكبر و لم يكن كذلك حقيقة[٣٢].

وقد وردت مفردة الاستكبار و مشتقاتها في القرآن الكريم ٤٨ مرة، كلها تذم لتلك الخصلة القبيحة وتستهجنها.

وقد أطلقت الجمهوريّة الإسلاميّة عند انتصار ثورتها العظيمة التي قادها الإمام الخميني عام ١٩٨٠م، لفظة الاستكبار ويراد منها الاستعمار، ولفظة الاستعمار وقد أطلقت لتجميل وجه الاحتلالات البشعة للدول الكبرى التي تسيطر على أراضي الشعوب ومقدراتها من دون وجه حق، فالمستعمر هو ليس كما تعارف المجتمع عليه،وانما هو سارق بامتياز[٣٣].

ولهذا جاءت لفظة الاستكبار في ثقافة الثورة الإسلاميّة؛ لتنص على مجموعة القوى التي تستند على قدراتها: (السياسيّة و العسكريّة و العلميّة و الاقتصاديّة)،و تعتمد على نظرة تمييزيّة للإنسان لتستغل المنظومات الإنسانيّة الكبرى، أي الشعوب والحكومات

والبلدان، وتضغط عليها وتسيطر عليها بشكل تعسفي مذل، تتدخل في شؤونها و تتطاول على ثرواتها، وتتعامل مع حكوماتها بمنطق القوّة، وتظلم الشعوب و تهين ثقافاتهم وأعرافهم وتقاليدهم(٣٤).

والقوى الاستكباريّة: هي تلك التي تمسك بإدارة جزء كبير من العالم في قبضة اقتدارها و تعسفها و قدراتها الماليّةوالاستكبار هو أيضاً نوع من الاستلاب السياسي، إذ ((يعد الاستلاب السياسي نوعاً من العوامل الاساسيّة التي تدفع الفرد لممارسة العنف السياسي))(٣٥).

علماً أنّ الشبكة الصهيونيّة العالميّة، والقوى الأمريكيّة التعسفيّة، والأجهزة الماليّة التي تدعم نظام الهيمنة العالميّة والبنك الدولي، كلها تعد من القوى الاستكباريّة.

إن أعلى مظاهر الاستكبار بمعناه القبيح النتن في العالم اليوم يتمثل بأمريكا عدوة الشعوب وصنيعتها اللقيطة اسرائيل، وإن امريكا ليس يقتصر عدائها لشعب واحد أو عرق معين أو بلد بحد ذاته. وإنما هي معاديّة لكل شعب له قضيّة وطنيّة يسعى لإنجازها، وأمريكا اليوم تمثل قطب الاستكبار والهيمنة العالميّة، طبعاً حين يقال أمريكا فليس القصد الشعب الأمريكي،فالشعب الأمريكي مثل باقي شعوب العالم له خصوصيات معينة ونقاط إيجابيّة وسلبيّة، ليس لشعوب العالم عداء معهم، وامريكا تنوي الهيمنة على العالم ورسم سياساته على هذا الأساس،حينما نقول الهيمنة الأمريكيّة نقصد النظام الحاكم في أمريكا، وهذه الهيمنة مبنيّة على اساس الظلم و الجور و العدوان(٣٦).

والحكومة الأمريكيّة و هي قمة الاستكبار تعد اليوم أسوء حكومة في العالم من حيث الاستكبار، وقد بنت سياستها على أساس مجابهة أي بلد أو حكومة لا تكون على استعداد لتأمين مصالحها، فهل ثمة كفر و استكبار أسوء من هذا، و هل ثمة ظلم اسوء من هذا الظلم وهذا هو جوهر السياسة الاستكباريّة للولايات المتحدة الأمريكيّة اليوم، ومن هنا وقف علماء النجف ضد الاستكبار قديما وحديثا، وواصل علماء الشيعة عمليّة التثقيف العامة، لأبناء الأمة اتجاه المخططات الاستعماريّة(٣٧).

إن منطق الاستكبار العالمي اليوم مبني على وفق، منطق القوة والإرهاب والاستعمال

غير العادل للقوة كما أن الاستكبار يروّج للإرهاب ويشيعه، وانه يستبيح البلدان باسم مكافحة الإرهاب، و يعرض الشعوب التي يستبيحها الى شتى الضغوط و يقصفونهم ويسحقون أطفالهم ونسائهم و شيوخهم والناس العزّل هناك، ومنطقهم في كل هذا إننا نريد محاربة الإرهاب.

إن استعمال القوة و التعسف غير القانونيين لتمرير مقاصده هو الارهاب بعينه، وهذا ما يفعله الاستكبار اليوم في العراق وأفغانستان تحديدا، ويستعمل الاستكبار العالمي اليوم الحرب النفسيّة، والحرب الاقتصاديّة، وحرب مواجهة التقدم والاقتدار والتقدم العلمي(٣٨).

يمتلك الاستكبار العالمي وسائل اعلاميّة كبيرة، وقدرات هائلة تقوم بأعمال كبيرة جداً لصالحه وهي تروّج لأهداف الاستكبار الخبيثة، ومنها وكالات الأنباء أو الإذاعات أو التلفزة أو الصحف والمجلات والشبكة العنكبوتيّة ويمتلكها الرأسماليون وأساطين السياسيين في العالم و هم الأركان الرئيسة للاستكبار العالمي(٣٩).

في الأخبار التي يبثونها في العالم يتم تنظيم كل شيء و ترتيبه لخدمة مصالحهم و إرادتهم، وأحيانا تستعمل وسائل خبيثة لتضليل الرأي العام العالمي، وهي لا تخفى على لبيد، وتؤدي الصهيونيّة العالميّة مركز الصدارة في وسائل الاعلام الخداعة، تدار من قبل أستاذه نفسيين في هذا المجال، هذه قضيّة على جانب كبير من الأهميّة(٤٠).

وبعد أن فشل النظام الدولي المستكبر في إخضاع الشعوب الفقيرة وبخاصة الإسلاميّة لجأ الى اسلوب تقسيم القوميات وصنع الديكتاتوريات وتخريب العقول والإرادات ونشر الفساد والعهر والجهل والفقر بين الفئات(٤١).

وها هو اليوم يعدل عن استراتيجيته الكلاسيكيّة التفقيريّة التجهيليّة ليصوب رمحه هذه المرّة إلى الجزء الذي أيقظ الأمة بعد سبات وهو الإسلام المحمدي الأصيل والهويّة الإسلاميّة، من خلال صنع إسلام يخدم المخطط الاستكباري المجرم ألا وهو الإسلام الداعشي الذي يحمل شعار الدين والدين منه براء، وان الدماء الزكيّة التي سالت للدفاع عن بيضة الإسلام المحمدي ستفشل مخططات الاستكبار العالمي والعدو الارهابي الداعشي الذي عاث في الأرض فساداً وترجم صورة قبيحة تشوه الفكر الإسلامي(٤٢).

المبحث الثالث

دور الإمام جعفر الصادق عليه السلام في مقارعة الاستبداد

يعدّ ائمة آل البيت عليهم السلام من دعاة مناهضة الاستبداد السياسي والديني في الفكر السياسي الشيعي، وهذا الأمر لم يحظ بالدراسة، وقد جاءت دراستنا هذه لتسليط الضوء على هذا الدور وخصوصا الدور الذي أداه الإمام الصادق عليه السلام،والذي شهد عصره الحرج، نهايّة الاستبداد الأموي، وبدايّة ولادة الاستبداد العباسي، وكان دوره عليه السلام يشار له بالبنان في محاريّة الاستبداديين، وشارك في ذلك من موقع الإمام العلاّمة الديني المجاهد والمتنور والثائر.

لقد وضع الإمام الصادق عليه السلام مجموعةً من المبادئ النظريّة لمحاربة الاستبداد والمستبد، والتي يجب أن تأخذ قواعدها من كتاب الله والسنّة ومن أقوال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ وحّد قوام دولة العدل الالهي التي تضمن جميع حقوق الشعب المسلم وحرياته ووظائف الحكام و صلاحياتهم وحدودها.

وقد صنف الإمام الدولة المستبدّة والدولة غير المستبدة، وكان يرى تعارضاً بين حكومة العدل الالهي والعقل والشرع وبين الحكام المستبدين ودولهم ولا يمكن للدولة غير المستبدة ان تقوم وتنهض الا اذا قامت على العقلاء والفلاسفة والعلماء والفقهاء، وانطلق من نظريّة ولايّة الأمة على نفسها، على اعتبار أن الدولة مسألة شورويّة وانتخابيّة(٤٣)

لقد كان الإمام الصادق يرى بأن دور عالِم الدين لا ينحصر في التقليد بل في الاجتهاد والتجديد. وبالعودة الى الدولة الدستوريّة الإسلاميّة، وأدائها لوظائفها، وهذا الشرط عده الضمانة الوحيدة لمنع تبدل السلطة الولايتيّة الى التملكيّة الاستبداديّة المطلقة، وعد الإمام أن المساواة والعدل والحريّة، أدوات لتقييد سلطة الحاكم المستبد وتحديد سلطانه(٤٤).

وإن تطبيق هذين المبدئين أحد الأساليب العمليّة لمقاومة الحكومة الاستبداديّة أو التملكيّة، إن ظاهرة الاستبداد حالة مقلقة قديما وحديثا؛ لكن محاربة ائمة آل البيت عليهم السلام لهذه الظاهرة، كانت علامة متميزة في ذلك العصر واستمر مداها الى اليوم، وهي قد سبقت التجارب الأخرى وخاصة في محاربة الاستبداد والاستكبار العالميين المتمثل بأمريكا

وإسرائيل وأعوانهم و على الرغم من أن هذه الحركة لم تكن صادرة من فراغ، لكنّها أسست لمنار سام،يؤسس لولايّة الأمّة على نفسها، ويقدم نظريّات سياسيّة إسلاميّة جديدة في محاربة الاستكبار والاستبداد بعيدا عن الخصوصيّة المذهبيّة(٤٥).

لقد كان الإمام الصادق عليه السلام يرى إنَّ الإسلام يقول لك إنَّ عليك أن تتحرَّك في دينك من موقع التَّجربة، وأن تقترب من المحرقة ولا تحترق، لا أن تبتعد عنها، فالّذين يبتعدون عن التجربة وعن ساحات الصّراع من أجل أن يحصلوا على النّجاة بأنفسهم كما يقولون، هم أناس يمكن أن يسقطوا أمام أيّة تجربة مفاجئة، وأمام أيّة حالة صراع، لأنَّ الصّراع يعطي الإنسان مناعةً من كلّ ما يواجهه من تحدّيات، ولأنَّ التجربة تعطي الإنسان الفكرة كيف يتفادى المزالق وكيف يبتعد عن الانهيارات ويحارب الاستكبار والبغي الذي قال عنه الإمام:((اياكم ان يبغي بعضكم على بعض فإنها ليست من خصال المسلم))(٤٦).

ولذلك فلا بغي ولا ارهاب ولا الغاء للآخر ولا عدوان وتهجير وقتل على الهويّة في الإسلام، فالإنسان المسلم هو الإنسان الاجتماعيّ الّذي يدخل المجتمع وينطلق من خلال خطّه الذي يبقيه في صراعٍ مع نفسه وجهادها ومواجهة الأوضاع المضادّة كلّها.

وعندما ندرس الإسلام جيّداً، نرى أنّه يصلح لكلِّ زمانٍ ومكان، ولكن بشرط أن نفهم الإسلام فهماً حقيقيّاً، فليس من الضّروريّ أن تكون الاجتهادات الّتي اجتهد فيها المجتهدون، والأفكار التي فكّر فيها المفكّرون فيما اجتهدوا فيه من كتاب الله وسنّة رسوله، أو فيما فكّروا فيه من المفاهيم، أن تكون هي الحقيقة، فالحقيقة الإسلاميّة صالحة لكلِّ زمانٍ ومكان، ولكن قد يخطئ المجتهدون في اجتهادهم، وقد ينحرف المفكّرون في تفكيرهم، ولذلك، لا بدَّ من أن نتابع التّجربة تلو التّجربة، والاجتهاد تلو الاجتهاد، فقد نكتشف خطأً هنا وانحرافاً هناك، لنستطيع في نهايّة المطاف أن نصل إلى الحقيقة الصّافيّة(٤٧).

ونحن مدعوون لتحرير الدين المختطف من شبكات الضلال والانحراف واعلاء ((كرمنا بني ادم))على مقولات التكفير والاستباحة الدماء والأرواح البريئة، من خلال تكثيف الجهود الفكريّة في طرح المقولات الدينيّة مع أطوالها الفكريّة والاخلاقيّة التي تتبناها جميع الشرائع السماويّة ومنها شريعة محمد وال محمد صلى الله عليه وآله(٤٨).

وعلى عقلاء الأمة من فقهائها ومفكريها الملتزمين السير قدماً نحو منهج الإمام الصادق عليه السلام

الداعي إلى تأصيل الفكر الإسلامي الصحيح، والسعي بجد وإخلاص الى بناء وحدة المجتمع والانسان الذي هو أثمن رأس مال، وعلى أساس الاحترام المتبادل لحفظ مصالح المسلمين العامة بعيداً عن كل أشكال الصراع السياسي أو المذهبي؛ لدرء كل الفتن التي تعصف بدولنا وشعوبنا التي بدأت تمزقنا من جديد، فتعالوا إلى الإسلام في خطّ أهل البيت الّذي هو الخطّ الّذي تركه رسول الله في الثّقلين: ((كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا، حتى يردا عليّ الحوض))[٤٩] ونستدل ببعض الأدلة التي تثبت دور الإمام الصادق عليه السلام في مقارعة الاستبداد العباسي ومنها:

أولاً: وقد انبرى الإمام عليه السلام للإجهاز على المشروع الاستكباري الذي قادته الدولة الأمويّة فكان من نتاجات الإمام عليه السلام حث المؤمنين على الوحدة والتآزر ونبذ أشكال التفرقة التي انتهجتها الدولة الإعرابيّة كما وصفها الجاحظ بقوله: ((الدولة الأمويّة، عربيّة إعرابيّة))[٥٠]؛ كونها اعتمدت على العصبيّة القبليّة في تدعيم أركانها والتفرقة بين أبناء الشعب المسلم فضلاً عن ذلك نلمس مواقف الإمام عليه السلام في أيام خلافة بني العباس وعلى الرغم من الآلام والمكاره التي تلقاها الإمام من المنصور الدوانيقي إلا أنه كان أشد جأشاً وأصبر بأساً تجاه تلك الأزمات والدليل على ذلك ما ذكره ابن طاووس: ((إن المنصور دعا الإمام الصادق عليه السلام سبع مرات كان بعضها في المدينة والربذة حين حج المنصور وبعضها يرسل إليه إلى بغداد وما كان يرسل عليه مرة إلا ويريد قتله))[٥١].

ثانياً: قال ابن حمدون: كتب المنصور إلى جعفر بن محمد الصادق: ((لِمَ لا تخشانا كما يخشانا الناس؟ فأجابه ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة مانرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنئك ولا تراها نقمة فنعزيك بها، فما نصنع عندك؟))[٥٢].

قال: فرد عليه المنصور بقوله: ((تصحبنا؛ لتنصحنا))[٥٣]؛فأجابه عليه السلام: ((من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لايصحبك))[٥٤].

فأجاب المنصور: ((والله لقد ميّز عندي منازل الناس من يريد الدنيا، ممن يريد الآخرة، وإنّه ممن يريد الآخرة))[٥٥].

الخاتمة ونتائج البحث:

في نهايّة هذا البحث فقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج جاءت على النحو الآتي:

١- وردت لفظة التكبر ومشتقاتها في القرآن الكريم (٤٨) مرة، وقد نزلت لأول مرة في حق إبليس (لعنه الله) في قوله تعالى (أبى واستكبر).

٢- التكبر على نوعين كما يشير إلى ذلك الراغب الأصفهاني فالأول محمود والثاني مذموم.

٣- التكبر والاستبداد بمعنى واحد كما ذكر ذلك اللغويون وهما بمعنى التمادي في الظلم والإصرار على الرأي بالقوة الغاشمة المسلطة على الإنسان قسرياً.

٤- اتّسمت المرحلة التي عاشها الإمام الصادق بكثير من الإرهاصات والتقلبات فهي نهايّة دولة بني أميّة وبدايّة دولة بني العباس وقد أتاحت له هذه الحقبة بث مشاريعه العلميّة والفكريّة والدينيّة.

٥- تكفّل الإمام الصادق عليه السلام بقيادة الأمة ضد الاستبداد الأموي والعباسي ناهضاً بأعباء هذا المشروع الإسلامي الكبير وخير دليل على ذلك مناظراته مع الملحدين والدهريين وغيرهم من أهل الملل الأخرى.

٦- وقف الإمام الصادق عليه السلام بكل صلابة ورباطة جأش وشجاعة أمام المشروعين الأموي والعباسي اللذين أرادا النيل من قيمة الإنسان المسلم وقد نقلت لنا كثيرا من الروايات الرسائل التي كانت ترسل إلى الإمام الصادق عليه السلام من أجل مداهنة الخلفاء والرضوخ لإراداتهم الدنيويّة والتي انتهت برفضه عليه السلام لهذه المشاريع.

٧- أدّت المواقف التي التزم الإمام الصادق عليه السلام بها إلى أن يدس إليه السم في سنة ١٤٨هـ بعد مؤامرة قام بتنفيذها المنصور الدوانيقي.

Abstract of the research:

The research section marked B ((novels Imam JafarSadiq (peace be upon him) in Imam Mahdi (Ajl Allah Farajh Sharif)), the presentation and analysis, the three investigations preceded the introduction and concluded with a conclusion showing the most important findings of the research, The

second topic, which was described as "Imam al-Sadiq's narrations in Imam al-Mahdi", deals with the study of the narratives in the language and the terminology. It was presented to the narrations of Imam Jafar al-Sadiq (Peace be upon him) in the Imam Mahdi (Ajl Allah Faraj Sharif) , And touched the third topic: to the novels of Imam JafarSadiq (p) in Imam Mahdi study and analysis.

هوامش البحث

(١) (ينظر: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكوفي الكليني، أصول الكافي، ٤٧٢/١).

(٢) ينظر: المصدر نفسه،٢٨١/٤.

(٣) المصدر نفسه،٢٨٢/٤.

(٤) ينظر: محمد يحيى الهاشمي، الإمام الصادق ملهم الكيمياء، ٣٥ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه،٣٥).

(٦) ينظر: المصدرنفسه،٣٥).

(٧) ينظر: فاضل الفراتي،من سيرة المعصومين، ١٩٨.

(٨) ينظر:المصدر نفسه، ١٩٨.

(٩) أسد حيدر، الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة، ٥٣.

(١٠) المصدر نفسه، ٥٣.

(١١)شمس الدين محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ):تذكرة الحفاظ، ١٥٧/١ و١٥٨/١.

(١٢)المصدر نفسه، ١٥٧/١ و١٥٨/١.

(١٣)ينظر: محمد حسين المظفر: الإمام الصادق،١٢.

(١٤) (عبد الحليم الجندي: الإمام جعفر الصادق،٧٨.

(١٥) ينظر: هاني فحص،الإسلام والديمقراطيّة،٩

(١٦) العلامة محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ١٤١/٤).

(١٧) المصدر نفسه،. ١٤١/٤).

(١٨) المصدر نفسه،١٢١/٨٥.

(١٩) المصدر نفسه،٨٥/ ١١٩.

(٢٠) ينظر: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكوفي، أصول الكافي، ٧٧/٣.

(٢١) ينظر: الشهيد محمد باقر الصدر، رسالتنا،،٢٥).

(٢٢) (ابن منظور، بيروت، ط٣، منشورات: دار المعارف-١٩٨٣م، كبر)

(٢٣) (سورة لقمان: الآيّة ١٨).

(٢٤) سورة البقرة:الآيّة ٣٤

(٢٥) ينظر: العلامة الراغب الأصفهاني،مفردات ألفاظ القران،٦٩٧).

(٢٦) (سورة الصافات: الآية ٣٥).

(٢٧) (سورة البقرة: الآية ٤٥)

(٢٨) ينظر: الراغب الأصفهاني، ٦٩٧.

(٢٩) سيد علي أكبر قريشي: قاموس القرآن،،٧٤/٦).

(٣٠) المصدر نفسه،٧٤/٦).

(٣١) المصدر نفسه،٧٤/٦).

(٣٢) المصدر نفسه،٧٤/٦).

(٣٣) المصدر نفسه،٧٤/٦).

(٣٤) ينظر: ناظم عبد الواحد الجاسور: موسوعة المصطلحات السياسيّة والفلسفيّة والدوليّة،٩٢).

(٣٥) المصدر نفسه: ٩٣.

(٣٦) ينظر: سليم الحسني،دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار،، ٦٢.

(٣٧) ينظر: المصدر نفسه، ٦٢.

(٣٨) (ينظر: المصدر نفسه،٦٢

(٣٩) (ينظر: نزار حيدر،ذخيرة المقاومة،،٣).

(٤٠) (ينظر: المصدر نفسه، ٣).

(٤١) (ينظر: المصدر نفسه،٣).

(٤٢) (ينظر: المصدر نفسه،٣).

(٤٣).(محمد جواد مغنيه: الإمام الصادق عليه السلام،٩٠.

(٤٤) المصدر نفسه،٩١.

(٤٥) المصدر نفسه،١١٠.

(٤٦) (أبو محمد بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني: تحف العقول عن ال الرسول، ٢٠١.

(٤٧) ينظر: إحسان الأمين وآخرون: الطائفيّة في العراق مقاربات في الجذور وسبل الخروج من المأزق،٦٨

(٤٨)ينظر: المصدر نفسه، ٦٨).

(٤٩) (المجلسي: بحار الانوار، ٢٣/ ١٠٦)

(٥٠) (الجاحظ: البيان والتبيين، ٢٠٠/١).

(٥١) (المجلسي، ١٨٥/٤٧.

(٥٢) المصدر نفسه، ١٨٥/٤٧.

٥٣) (المصدر نفسه، ١٨٦/٤٧).

(٥٤) (المصدر نفسه، ١٨٦/٤٧).

(٥٥) (المصدر نفسه، ١٨٦/٤٧).

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- آية الله العظمى الشهيد محمد باقر الصدر: بحث حول المهدي، تحقيق وتعليق الدّكتور عبد الجبّار شرارة، منشورات: مركز الغدير للدراسات الإسلامية،قم المقدسة، فرودرين، ط١- ١٩٩١م.

٣- إحسان الأمين وآخرون:الطائفيّة في العراق مقاربات في الجذور وسبل الخروج من المأزق، دار الحضارة للطباعة والنشر النجف الاشرف،٢٠٠٨م.

٤- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ط١، بيروت- ١٣٩٩هـ -١٩٧٩ م.

٥- أسد حيدر، الإمام الصادق "ع" والمذاهب الأربعة: منشورات: المطبعة الحيدريّة في النجف،ط١، ١٩٧٥ م.

٦- الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي، منشورات: دار السعادة القاهريّة،ط٢، القاهرة- ١٩٧٦ م.

٧- أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكوفي الكليني، أصول الكافي، منشورات: المطبعة الحيدريّة، ٤ أجزاء،طهران-(د.ت).

٨- الدكتور محمد شوقي السيد: دراسات في علوم الحديث، منشورات: دار الطباعة المحمديّة، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٩- شمس الدين محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ):تذكرة الحفاظ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة، حيدر آباد،ط١-الدكن،١٩٥٧م.

١٠- الشهيد محمد باقر الصدر، رسالتنا، إصدار جماعة علماء النجف الأشرف، ط١، قم المقدسة- ١٤٠١هـ.

١١- الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي: كمال الدين وتمام النعمة، صححه وقدّم له وعلق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، الناشر: منشورات: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت- ١٩٩١م.

١٢- شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي **الطوسي: رجال الطوسي،** تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم المقدّسة، ط١، قم- ١٣٧٣هـ..

١٣- الشيخ الطوسي (الوفاة: ٤٦٠هـ): الفهرست، المجموعة: أهم مصادر رجال الحديث عند الشيعة، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، الطبعة: الأولى،المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة، قم- ١٤١٧م.

١٤- عبد الحليم الجندي: الإمام جعفر الصادق، منشورات: دار المعارف،القاهرة،ط١، ١٩٧٤م.

١٥- العلامة محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، منشورات: دار احياء الكتب الإسلاميّة، مصر.

١٦- فاضل الفراتي: من سيرة المعصومين، مؤسسة الفكر الإسلامي، ط١، بيروت ٢٠٠٢م.

١٧- أبو القاسم بن علي أكبر الخوئي: معجم رجال الحديث، ط٥، (د.ت)

١٨- محمد حسين المظفر: الإمام الصادق، منشورات: مطبعة الغري، النجف،ط١، ١٩٧٣م.

١٩- محمد يحيى الهاشمي، الإمام الصادق ملهم الكيمياء، منشورات: مطبعة النجاح،ط١-بغداد،١٩٥٠م.

٢٠- ابن منظور: لسان العرب، ط٣، منشورات: دار المعارف، بيروت-١٩٨٣م.

٢١- هاني فحص، الإسلام والديمقراطيّة، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد،ط١ -٢٠٠٤ م.